فصل من رواية

ثائر محترف ...

بقلم طاع صفدي

نظرتي (*) لا تفارق فكه العريض القوي . لا احب ان اواجه عينيه ان فيهما سلاما يناقض قوة ذلك الفك الوحشي . ولكن كنعان ما زال يوزع فرح عينيه على الجميع . كا نيتصدى لي بصورة غير مباشرة . فقد حاصرني بحلقة من الشباب ثانية . وكان الامر جادا تلك الساعة. فقد قتل في الليلة الماضية انسان كبير القلب ، يعمل صحافيا . ولكنه كان يتمنطق بالجراة والصدق . وحلقة الليلة كانت نموذجا حيا عما يفتعل في نفس المدينة كلها . لقد ساد الغضب مدينة بيروت اخيرا . واحس الناس بالوجوم . ينبثق من اعماق انفسهم ، دون ان يستطيعوا الانفلات منه . لم يكن وباء خارجيا يمكن التخلص منه بتلك الوسيلة القديمة لاهل المدينة : اللامبالاة والاستغراق في التجارات الفردية .

واما انا فقد قضيت نهاري الذي يبدا بعد الظهر عادة ، قضيته عبر الشوارع اللامعة التي انقلبت الى جنازة صامتة طويلة ، متفرعة مع شرايين المدينةكلها . لم تستطع الواجهات التجارية ان تتغلب على الجنازة بالوان بضائعها المستوردة من كل معمل في العالم . والمقاهي وانواع الامكنة العامة المختلفة التي تتوزع الشعب الطافي على سطح المدينة .. كل العالم في الشوارع قد اختلط بمادة دخانية جديدة الى جانب رطوبة البحر وانفاس الابنية والناس ، هو دخان السخط والانتظار .

سماسرة المال والمخدرات والتجسس والرقيق الابيض وما يفرزه هؤلاء من دوائر القيح التي تكبر وتتسع حتى تنتشر على السطح الثاني للمدينة. سطح الى اسفل ، غامض وشرس وبدون وجه .

كان القيح بعد الظهر يرشح من العيون المصلوبة والافواه الصامتة. كانت المجاري تحت الشوارع تنز من شقوق وحفر . وكذلك كان الترام القذر يتزحلق على حديده بعربدة بلهاء . والابنية الصفراء ، تلك الكآبة المستطيلة، الواح من اللون الاصفر والرمادي، تحبس ظل الموت ، وتشارك في هذه الساعة الكبرى الخافية ، ساعة الانتظار والترقب . كان المجهول يعيش في المدينة التي خافت كلها ، وحاولت ان تتقيا هذا الخوف في الشوارع ، بين جحافل البشر والحديد وضباب المازوت . والشمس ساطعة بنور صخري ، يجثم على السطوح والواجهات ، واجهات الابنية الصفراء وواجهات الناس ، ولقد دب فعلا ذلك الدوي الخفي تحت احجار الشوارع ، وتحت جلود الناس . صعد من قعر البحر وانتشر على السطوح من كل شيء.

كان في ذلك يوم ، تمضي العاهرات من السوق الى عيادة الطبيب الرسمي لاجراء الكشف الاسبوعي . كانت (السوق) اذن بلا عاهرات ، من بعد ظهر ذلك اليوم . وكانت ساقية نحيلة ، تمتد من السوق وتتسلق البرج ، ثم تنعطف حول مقهى (الحاوي) لتصعد الى مصب القيح كله، عند الطبيب المزكوم .

ولقد توقفت احداهن فجاة امام المقهى ، استطاعت للحظة ان تتحرر من سحر ذلك الطقس الاسود . انها لا تعرف ان تقرا ، ولذلك تمر عيونها على صور الجرائد المعروضة امام مدخل المقهى . انها فتاة صبغت شعرها باللون الاحمر ، وارتدت فراء اصطناعيا بلون ابيض ، وحبست جسدها المغزلي بثوب ارجواني . انها فتاة من السوق صعدت بضعة امتار خارج (السوق) وسارت بين الناس العاديين . انها فتاة من السوق، تدري ان في منتصفها ثقبا مشاعا ، بصورة رسمية ، لذكور المدينة كلها. وانها كانت امراة عذراء . وانها استلقت مرة في قريتها مع احد ابناء المصطافين . ولامر ما لم تستطع البقاء في قريتها فنزلت الى المدينة . وكان حظها سيئا . اذ لم تفز باحد من اهل النفوذ والسلطان ليمد حمايته عليها ، ويجعلها اميرة سرية ، من اميرات الليل في المدينة. فكان مصيرها ان جرت من شعرها الى (السوق) ، ودمغت بالعهر الرسمي . والقيت الى عجوز في بيت من بيوت السوق لتلقنها سر المهنة ، ولتصبح (ابنتها) أي ان ساقيها للرجال والاجرة اخر الليل تسقط في جيب (أمها) الحنون .

وكذلك هناك رجال كثيرون في المدينة يبحثون عن امهم الحنون . انهم ينتمون الى سوق عالمية ، وهم يتقنون عهرا عصريا سخيا بكل شيء الا بكرامة المواطن العادي .

قال الساقي : العاهرة هايدي بدها واحد عالطريق ..

ولكن عندما دعاها احدهم الىطاولته انحنى الخادم امامها يسالها ماذا تشرب ؟..

والشارع كذلك يغص بالفتيان والفتيات .. انهم حشد مهووس بنصفه الاسفل ، ولكنه يظل ينظر الى الصور المعلقة في اعلى ، صور لمارلين مونرو وهي تتحدى الهة الارض بثديين لا يقربهما رضيع ابدا .

كان احدهم مزروعا خلف صديقته ، كان ملتصقا باليتيها . وكان فمه قريبا من كتفيها ، يلعق رائحة قذرة . وكان دؤوبا في محاصرتها من خلف ومن جانب . وكذلك كان الشباب مكدسا متلاصقا . كان قطيعا جنسيا يطرد الخوف عن نفسه بالاحتكاك الاجرب بعضه ببعض ، والسماء البيروتية ترمي بشظايا من الوهج الدبق . وجدران الشارع ترتفع الى ما لا نهاية في اصفرار اسود . وكاس الليمون امامي تجف برودته. والعاهرة الحمراء تلف جميع الرجال في المقهى ، بابتسامات افعوانية مبتذلة ، ثم تحط اخيرا على رجلها الذي سيدفع ثمن شرابها .

قالت احدى السيدات المجاورة لي بالفرنسية :

ـ هذه الموسم تهيئنا جميعا ..

فاجابها رجل ما لم أر وجهه ، كان جالسا معها :

ـ اطمئني يا عزيزتي ، فانها تعرفنا جيدا .

ولكن عندما دعاها احدهم الى طاولته انحنى الخادم امامها يسالها يصعد الى المدينة ، ان يتسلق الى البرج ، وان يخنق اقبية الشواطىء وان يصعد الى اعلى ابنية السوق ، ثم يتابع الى ابعد من البرج . ان الملح سوف يطهر المدينة .. سوف يغسل اقبيتها ويغتال افعوانها ، ويغرق بؤر الجراثيم . ان المدينة بحاجة الى حريق من الملح ... كنعان لا يؤمن بالخطيئة الازلية .. ولا بالشر الابدي ، ولكنه يعمل بجهد طيلة النهار لكي يكسب عيشه .. انه يوزع جسده ودماغه في جهات المدينة الاربع ، فهو سئم الشعر من قديم ، ولم يعد يؤمن بالرياضة من اجل جسده القوي . ولكنه يسعى باستمرار الى تجديد فؤاده بايمان مطلق .

(*) فصل من رواية تصدر هذا الشهر للكاتب .

ولقد اصيب بالسام منذ مدة طويلة فكف عن حياة التشرد . وتنازل عن ادعاءات الجيل الكبرى . ولم يعد يابه لشهرة ادبية او سحرية يلصقها بنفسه .. ولا يحب ان يفخر بصداقة العاهرات . انه يكره التغني بالافلاس والارق حتى الصباح ، والنوم على الارصفة .

وهويعترف بكل تواضع انه لم يعد يقرأ الا القليل . فالوجودية والماركسية والفوضوية ، اشياء مبتذلة لم تعد تصلح له . انه يعد نفسه لعملية تنظيف كبرى . انه يؤمن بقدرة البحر على الصعود ، على الطغيان ، وغمر المدينة بالملح .. وهو لذلك يشعر ان جسده وفكه وشعره الكستنائي ، وبذلته الخارجية ، وجيوبه الخفية ليس لها اية قيمة ... اتلك اذن هي ديانة التضحية . ان الرجل يعمل طيلة النهار بين ثلاثة او اربعة اعمال ، ليؤمن عيشه ومشروع زواجه الصغير .. ولكنه يعمل طيلة الليل كذلك من اجل حياة نظيفة للمدينة . هكذا فان مسافة من الانسجام اللطيف تمتد بين عينيه المسالمتين وفكه الوحشي ....

ويقول لي مينو في غرفته القذرة المخنوقة الانفاس :

ـ انت لا تعرف عنها شيئا ، اتركها . كف عن ملاحقتها . انك مريض بمطاردتها ، حسنا ، لقد اوقعتك في الشرك يا صديقي . قلت لك انها فتاة شيطانية . الا تحسب ان الاديان كلها تحارب فتاة مثلها . انها زنديقة .. ماذا تقول بامراة تتعبد جسدها . ولكنها مع ذلك بدات تخرج مع بعض الزبائن منذ .. منذ ان افتقدتك ولم تعد كل ليلة لتراها . لا .. لاتحسب ان ذلك غرام . انها امراة عاجزة عن ان تحمل الانوثة الطبيعية . لو ذهبت الى قريتي لاحرقها المتدينون هناك . نعم ، قد تخرج مع بعض الزبائن ، ولكن احدا لن يأخذ من جسدها لمسة ... اعني لمسة حقيقية ، انها تستلقي فحسب .

واقول ببرود :

ـ الا تحسب انها تفعل ذلك لانها كرست جسدها للباليه ، وانها قد فشلت ، وانها تبحث عن عزاء ...

ويخلع مينو قميصه ، يستلقي على سريره ... حانت نوبته ، ياتي بالابرة ، يفزرها في لحمه المتيبس بطريقة خبيرة . ويبدا عرقه بالامتصاص:

هذه عادتي . لاتهزأ مني وكن .. كنا معا نتعاطى الرزق . كنا نستلقي معا على السرير ، ثم يفرق كل منا في صمته .. اما الان فكما ترى ، اني وحيد ..

ويصمت لحظات :

ـ لا تبرح .. ارجوك يا مسيو كريم .. بعد قليل لن ازعجك . ابق معي قليلا .. لقد بدات اخاف من تاثير المخدر على .. عندما اكون وحدي .

ولكنني كنت احس بالصمت المطبق ، يتصاعد من الشوارع ، انها ليلة اخرى من الصمود تلتصق بقبو المدينة . واشباح الليل يتعاطون مجونهم بكثير من البلادة والآلية والخدر .

كان وجه مينو ميتا بصراوة . جلدة وجهه قشرة من الشمع المفضن .. وعيناه جاحظتان غائرتان معا .. يحشرج من بئر ذاته :

ـ انك لا تدري شيئا . انها اجمل امراة في روما . سوف نفر معا .. تعالي يا مادو .. سوف نبحر الى الشرق . هناك لا يعرفون الموت والكابة والحرب .. انهم قوم طيبون جدا ، ولكنهم محرومون من النساء .. هناك ستجدين من يقدس جسدك . هنا نحن اشقياء ، لم يعد لنا ما نقدسه .. ماتت الاسرار اوه.. ابي ، ابي عاد بدون رجلين وذراع . حملته مع ذلك ثلاثة رجال ، صعدوا به الى بيتنا ، ورموه امامنا في الصالة . قال لي ، يا مينو اهرب من روما يا بني ، اهجر اوربا كلها ، هذه البلاد آنت نهايتها . لقد عاد ابي من الحرب تاركا نصف جسده هناك . كان فاشستيا ، ثم اصبح ديموقراطيا ، وعندما قبع على كرسي خاص في البيت صار شيوعيا . لا تتركني يا مسيو كريم ... ارجوك . اخاف الوحدة . هذا داء جديد اكتسبه من الشرق العجيب . قال ابي : انكم لا تعرفون الكابة ، وانكم بدون مطامع ، فلا خوف عليكم من الحروب .

ولكن ما هذا .. ان مدينتكم تتاجج بالحقد والكآبة . هل ستنشب الثورة هنا ايضا . يا الهي.؟

ولم يكن مينو يتوقف ليستمع الى جواب . كان اسير هذيانه الخاص :

ـ انك لا تدري شيئا عنها يا مسيو كريم .. مادو قد تخرج مع بعض الرجال ولربما اعطتهم جسدها . ولكنها لا تعطيهم الا جثة مطفأة ... قد غادرها صاحبها . انا اعرف ذلك . لقد نمت معها مرات عديدة ولكنني لم انم الا مع جثمان مطفأ . انها بعد ابرة من المخدر ، بعد عدة كؤوس من الويسكي ، ورقصات سخيفة في الملهى ، لن تعود هي نفسها .. وانا بدون خجل قد اسرق منها جسدها في مثل هذه الحالات . نعم ، نحن اهل العلب قد نصبح اخيرا بدون كرامة . المهم اننا نحيا من ليلة الى اخرى . ابي اراد ان يصبح كاتبا .. بعد ان استعاض عن نصف جسده بنصف متحرك . اتدري ماذا اراد ان يكتب .. قصة سحاق بين امراتين ، تامل !.. ولكن جمعية المشوهين التابعة للحزب الشيوعي ، امرته ان يكف عن نشر قصته المتسلسلة في احدى الصحف . وطلبت منه ان يعدل عنها الى كتابة مذكراته عن الحرب .. لقد رفض ابي ذلك .. قال انه منذ ان كان شابا تمنى مرة ان يكتب قصة سحاق بين امراتين .. هكذا فعل .. واحتجت امي واختي المتزوجة . ولكن ابي اصر ومضى يتابع قصته . اتدري .. اتدري لقد اعتبر الحزب الشيوعي قصته تلك ، عندما انتهت ، احدى روائع الادب البروليتاري . لقد كانت احدى هاتين المراتين عاملة في المعمل . وقد هجرت زوجها لانه لم يكن يوافقها على ميولها الشاذة التي راى فيها الحزب احدى ظاهرات الشقاء الانساني ، يعانيه الكادحون في اسفل المجتمع . اعتبر شذوذ هذه المراة صورة من الاحتجاج على البراجوازية التي تستنكر مثل هذه العادات المنافية لاخلاقها وتقاليدها .. وهكذا اصبح ابي كاتبا بروليتاريا. الست تعتقد معي ان مادو شاذة من هذا النوع ، وانها هي الاخرى تحتج احتجاجا طبقيا غامضا . على كل حال .. لا بد ان يكتشف ذلك شيوعي مثقف كبير ..

واشتد قيظ صلد في فضاء الغرفة . لم يبق ثمة تجويف الا وامتلأ بمادة ثقيلة شفافة .. كان مينو يتكلم بصوت متقطع . وقد تخونه الكلمات . فيتعثر لسانه للحظة .. ثم يعدل عن العبارة كلها ، والى اي فكرة اخرى يلفها لسانه من مستنقع الخدر في جوفه الحالك . وكان مستلقيا على ظهره . ولكنه يتحرك الان فينبطح على صدره . ويثقل راسه على الوسادة . فاخشى ان يكم انفه فلا يستطيع ان يتنفس . كان فريسة ضعف ذليل ، فاعيده الى وضعه الطبيعي ، وجسده بين يدي كحزمة من العظام المفرغة . كان شديد النحولة شديد الاستسلام للفناء . استمر في هذيانه دون ان يعبأ بي :

ـ مادو كانت تريد ان تصبح بالرينا عالمية . ولكنها انحدرت معي الى اقبية مدينة شرقية قذرة ،هؤلاء الرجال السمر المتفخون بالمال . انهم زبائننا المحترمون ، اصحاب العقال اثمن هؤلاء الزبائن ، انهم مصنوعون من زفت البترول .. رائحتهم تزكم الانوف . لقد بقي احدهم ماذا كان اسمه ؟ .. اوه لعله (فواز) .. نعم .. هوهو ظل فواز يتابع مادو في حركاتها وسكناتها .. مسيو كريم تصور انه عرض عليها اكثر من عشرة الاف ليرة كهدية اولى .. ولكن الشقية رفضت ذلك .. بل قذفت بوجهه كاس الويسكي .. من سوء الحظ كانت قد تعرفت عليك من قبل . ولكن لا ! تظن انها تحبك .. ربما ، من يدري ؟.. ابي لم يصبح كاتبا عظيما ، لم يستطع ان يكتب شيئا بعد قصة السحاق هذه .. ولكن اختي عادت الى نوبات الربو ، بعد ان هجرها زوجها .. واصبحت امي ممرضة لمريضين مزمنين في البيت .. انا ، رحلت الى الشرق . مع ذلك فانني استمر في الدفع . ياخذون مني كل شهر نصف راتبي .. ربما لن اجد بعد قليل ثمنا للمخدر . حسنا .. في ذلك الوقت ، في ذلك الوقت لابد ان اقبل ، اقبل العرض القديم الذي ينتظر كل مدمن .. ساعمل على ترويج المخدر لقاء حصتي اليومية

منه .. ماذا يهم ، عندما سيقبضون علي سوف يضعونني في المستشفى وعند ذلك ربما شفيت ..

صوته الان بدأ يتهدج . انه يرى صور نهايته مجسمة في الواقع امامه . للمخدر قدرة على تجسيم الخيالات ، تعيسة كانت ام سعيدة.. وقد اصبح مينو الان سجين الصور الشقية.وتلك هي اخر مراحل الادمان.

واما انا ، فلقد كنت انوس بين النافذة والمقعد . لقد اكتشفت ان مكوثي في غرفة مينو طيلة هذه المدة ، كان له معنى اخر . فانني بكلمة مختصرة انتظرها انتظارا ساحقا ملؤه الوهم والعبث وفقدان الثقة . كانت مينو مجاورة لغرفة مادو ، وهما تقعان في الدور الرابع من فندق عادي في (الزيتونة) .. وها قد انقضت الليلة تقريبا دون ان تفرقع تلك القدمان الصغيرتان وتحطمان صبر الليل حولي .

وفجأة ينتصب مينو بجذعه ، يحملق بي كانه يراني لاول مرة :

ـ ستراها ، ستراها يا صديقي ، لا بد ان تنال الليلة حصتها منه قبل ان تاوي الى فراشها ، لن تستطيع ان تتلقى ضوء الشمس في العراء . نحن خفافيش الليل ، يؤذينا النهار . انه يفقدنا حس الاتجاه في صخبه واضوائه . انت مسكين يا مسيو كريم ..

ولم تحدث الكلمة اثرها في اعصابي ، انها التعبير الشائع على لسان الاوربيين لتصوير حالة عادية جدا . هي حالة الانسان الذي يعيش بدون غد وقد تصيدته هموم دنيوية خالصة ..

وردد مينو بصورة رتيبة :

ـ سنعود دائما الى فنادقنا قبل الصباح ، سنعود قبل الصباح.

وسمعت صوتي المختنق :

ـ الصباح القذر . الصباح القذر . انه ليس الا نفايات العهر مكشوفة في العراء على الارصفة ، وخلف النوافذ الخشبية المغلقة .

وجه مينو المصفر ، المتقيح حول الفم ، المدفون الملامح في ضباب الوهن والعجز . احب هذا الوجه وانه افقر وجه . على الارض .

*

قريبا :

قضايا الشعر المعاصر

بقلم

نازك الملائكة

سلسلة دراسات عن الشعر العربي الحديث ومشكلاته

دار الاداب

بعد الظهر من ذلك اليوم الاجوف ، ينبث الكسل الاصفر تحت جلود البشر ، ويمتص الدم من خلف احجار المدينة . ويفترس ، يفراوة ، ممطوطة ، الظلال والاسرار والبقع الصماء من النفوس ، ومن زوايا الشوارع ، ومن تجاويف الابنية . ويرميها عارية تحت ضوء اليوم . يوم القتل والذعر ، وبداية الصعود . ملح البحر يتحفز على الشواطىء ، ودبيب الموج يتصاعد من الاعماق ، وعما قليل ستطهر المدينة .

وقذف سائق سيارة « السرفيس » الشتيمة البيروتية العريقة ، وهو يعرج بسرعة خاطفة مبتعدا عن سيارة ملاصقة . ثم يخترق بصورة ملتوية عدة سيارات اخرى وقال :

ـ اخوات الـ ... حنحرق فيهم البلد ، بكره يشوفو كلهم .

ونظرت الى زملائي في المقعد . كانت هناك وجوه نظيفة جدا . وكانت لاتسمع ، وكان هواء المازوت يعبق في جو السيارة . وكانت جميع المخازن التجارية مغلقة . والوحشة في الشوارع تتصاعد من وجوم الاحجار ، واصفرار الابنية وجمود النوافذ المغلقة . وكانت بيروت بدون خضرة .. لم تعرف شوارعها زينة الاشجار . ولا حوت كتلها البشرية على بقع من حدائق . وكانت بيروت بعد الظهر من ذلك اليوم .. مكدسة بدون تنفس ، وقد بدأ كل حجر بالريبة من حجر يلتصق به منذ الازل. ومن قلب هذا التكديس ، كانت تفجرات بركانية صماء تمزق وحدة الصخر والتراب والانسان . وكنت وحدي اصغي الى الدوي المكبوت . وانظر الى الوجوه النظيفة حولي ، فلا ارى فيها الا وجها عاليا ينتمي الى كل مكان ما عدا المكان الذي تتمزق فيه هذه التفجرات الدفينة .

احسست اذن ان حوادث كبرى يحبل عنها هذا الصمت الصلد . وانني انا خاصة سوف تداهمني الاحداث . وتقطع علي هدوء جسدي . انني مداهم مرة ثانية . وانني سالقى نفسي بعد قليل محاصرا ومطوقا، ومرة اخرى ، سوف يطلب العالم مني اختيارا .

وسارت معي « حنان » في حديقة الجامعة . كانت تحسب انها تعرض علي جمالا جديدا من خلال صحبتها . هذا الجمال الذي يتلوى بين طرق الحشائش النضرة ، ويتسلق اشجار الصنوبر النظيفة ويتسرب الى زرقة البحر الغائرة .

ولكنها كانت تتحاشى في الوقت ذاته ان تنزلق قدمها ، فتتجه بها وبي الى بعض منعطفات متطرفة ، مخبوءة وراء جدران قصيرة ،ولكنها كثيفة ، من الخضرة .

ـ انت لاتريدين ؟

ـ ماذا ؟

قالت ذلك وهي تقف وتدور نحوي نصف دورة بذلك الوجه الفريد بنعومة سمرته . وكان لها كذلك عينان سوداوان كبيرتان . وترف فوق الجبين تلك الخصلة المتمردة . بحنو وثقة ، من شعر كذلك أسود لامع كثيف . ومن تحت الغرة التي تميز ذلك الوجه النضر بدون مأساة ،نظرت الي مستغربة حقا ، فقلت :

ـ لا تريدين ان تصبحي كاتبة ..

ـ آه !

وضحكت بطلاقة شابة وثابة ولكنني اصررت :

ـ قرأت لك أشياء جميلة في المجلات .. انك تحاولين ان تكتبي قصيدة انثوية بكل معنى الكلمة ..

ودفعة واحدة أجابت :

ـ لا احب القصائد . قد أكتب بعضها احيانا . ولكنني لا أحبها. إنها لا تنفع لشيء . افضل عليها الدراسات ، الدراسات الاجتماعية التي تكشف حقائق من واقعنا .

ـ ولكنك لم تكتبي بعد مثل هذه الدراسات .

ـ صحيح . لست واثقة بعد من قدرتي ، فانا بحاجة الى قراءات كثيرة وملاحظات شاملة . جربت كتابة بعض الريبورتاجات في صحفنا المحلية . هل قرأت بعضها . لقد قمت بدراسة سريعة حول وضع العاملات . وحاولت ان أنفذ الى عرين المدمنين ولكنني فشلت ..

ـ التتمة على الصفحة ٧٠ ـ

ثائر محترف

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٦ ـ

ـ انت جريئة جدا يا حنان .. ولديك مشروعات ضخمة .

واعطتني كامل وجهها ، فتحت علي كامل السواد في عينيها :

ـ اتسخر مني . انا لم افعل شيئا بعد . وكل ما قمت به ليس سوى اعداد لما اريد ان انجزه في المستقبل .. اريد ان اكون نافعة .

ـ تريدين ان تكوني نافعة !

ـ ارجوك .

وتابعت طريقها . واضطررت ان اتبعها . فانا اتبعها منذ بداية الجولة . لقد قررت ان استسلم لتوجيه هذه الفتاة ، منذ ان عرضت علي ان تريني اقسام الجامعة ، ثم تهبط بي الى مسارح الحديقة الفناء التي يتعلم فيها الطلاب عن « الحياة » اكثر مما يتعلمونه على مقاعد الدرس بين الجدران الاربعة . وقلت لها باعثا حماستها الاولى :

ـ آنسة حنان ، ما رايك لو عرضت عليك مساعدتك ؟

وقاطعتني مباشرة بتحديها الجريء المعهود :

ـ في اي امر ؟

ـ لا تتسرعي هكذا . كنت اريد ان ادلك على وسيلة تتصلين عن طريقها ببعض المدمنين والمدمنات ان اردت ..

وانطلقت اسارير وجهها . ما هذا الفرح المفاجيء الذي يغمر نظراتها . واستولت علي لحظة شعر متقرضة من زماني . فرنوت اليها، وهي هذه اللوحة من الحيوية والصدق والفرح .. في اطار من الخضرة. اكتشفت سحر هذه الحديقة . ووقع بصري على فتى وفتاة منبطحين على بساط العشب ، الفتى يقرأ ، والفتاة تسند ذقنها الى يدها بوضع حالم هادىء .. وسارعت حنان :

ـ متى سيكون ذلك . انني مستعدة ان اذهب معك متى شئت . ولسوف اقطع دراستي قليلا ..

طرفت بعينها . رفعت خصلة شعرها قليلا . سرحت ببصرها جهة البحر : ـ على كل حال لن يكون هناك فحص على ما اعتقد .

قلت ذلك ، وانا ابحث في جيبي عن عود ثقاب . اجابت :

ـ لماذا ، آه . ولكنك متشائم يا استاذ كريم . انت دائما متشائم ، اسمح لي ان اقول لك ذلك دون ان تظن انني احاول ان اجرحك بهذا القول .. سوف يطير المهد خلال بضعة ايام قليلة . لن تحتاج العملية الا لبضع تظاهرات عامة شاملة .

ـ او تحتاج العملية الى ثورة بعيدة الامد لا يعلم احد نتائجها .

وبصورة جادة قاطعة :

ـ استاذ كريم انت تعلم اننا نحترمك هنا ، ولكننا لا نتصور انك ستلعب دور مثبط العزائم بيننا .

وقلت محتدا :

ـ خلال دقيقتين فقط وصفتني بانني متشائم وانني مثبط للعزائم، هل لديك شيء آخر ..

واحمر وجهها . واكتسى محياها الجميل بذلك الارتباك الطفولي المفاجيء . قلت بلهجة اخصب بالعطف :

ـ على كل حال ، اعتقد ان اقامتي في بيروت قد طالت ، وحان وقت عودتي الى دمشق ..

ـ ماذا تقول !

واستدركت :

ـ اعني هل ستتركنا في هذه الظروف . اتذكر انها المعركة الاولى التي يخوضها الشباب هنا ..

ـ الم تقولي ان هذه العملية لاتحتاج الا لبضع تظاهرات هنا وهناك.

واتقدت عيناها :

ـ ولكن يا استاذ كريم ، لم يتفق شعب لبنان يوما كما اتفق في مثل هذه الظروف ضد فساد العهد القائم . وماذا يجدي العهد ان تحرسه عصابة من المرتزقة من محترفي الخيانة .. ان الشباب المثقف الواعي هو الذي يقود معركة لبنان اليوم . لقد انتصرتم هناك فحققتم الجمهورية، اعظم آمال العرب . اتحسب ان الشباب هنا اقل شعورا بالمسؤولية . بالعكس ، فانه هو الظرف المناسب الذي انتظره لبنان لكي يحدد طريق مستقبله نهائيا .. لست اتصور انك تستطيع ان تقبع في دمشق وتسترخي في ظلال الاستقرار ، بينما تنشب معركة وحدوية جديدة على بعد مئة كيلو متر منك . هذا مستحيل بالنسبة لمن كان مثلك .

ورايت نفسي ، رغم الحرارة التي خلقتها في عروقي هذه الفتاة الرائعة ، اعترف دون ارادة مني :

ـ سئمت الثورات ياحنان . لو تعلمين كم احب ان ابقى هكذا ..

وقالتها دون وعي :

ـ ان تبقى مشردا دون هدف .

وصفعتني حنان بكلمتها تلك . شعرت انني امام انهام لا ادري كيف ادفعه عني :

ـ انك لا تدركين ياحنان . ثمة امور تجري في وجدان الانسان وتعرقله عن العمل دون ان يستطيع فهم كنه لها . انك تؤلمينني حقا . وقلما اثر فيّ انسان خلال مدة طويلة على النحو الذي تؤثرين انت في. انك ظالمة وعنيفة بدون مبرر .

ولم اعد انظر اليها . كنت احس انها تتالم بحدة . وانها لاتريد ان يطلع الاخر على المها ذاك ، وقلت وانا اودعها :

ـ عندما تقررين ان تبدئي بحثك عن مشكلة المدمنين اتصلي بي عن طريق سمير ، انه يعرف مقري . والى اللقاء .

ولم تقل شيئا . ظلت جامدة في مكانها . عندما انعطفت مع درب الحديقة لالتفت نحوها .. كانت ماتزال تتابعني بنظراتها الساهمة . لوحت لها بيدي فحنت راسها قليلا ومضيت .

*

بعد الظهر من ذلك اليوم الذي يلي التظاهرات الصاخبة في شوارع المدينة المترفة . بعد الظهر من كل يوم تقع فيه الاصطدامات بين قوى الشعب الثائر وبين رجال الامن ، ومن يساعدهم من افراد العصابة . بعد الظهر قد ترتاح المدينة من الصخب . ولكن الاصداء تبقى عالقة بالجدران بالوجوه ، بالهواء المشبع بالمازوت . وهذا الوجوم يتقيح في النفوس وينشر زخمه بين العيون التائهة المذعورة . لقد فقدت المدينة فجاة الامان . وظهرت حقيقتها الخافية . وهو ان كل شيء مباح الى درجة قتل النفس الانسانية . كان القمار والزنا والرق والتجسس والمخدرات مباحا سريا ، فزاد بقتل مباح اخر .

لقد اغلقت اكثر المقاهي ودور السينما ابوابها وفي وجه الضجرين والغرباء والمتشردين .

وكنت انا احد اولئك الذين اضطروا ان يلازموا عقر دارهم . ولم اعد استطيع الخروج الا متلصصا متسترا . كان علي ان احتمي من الطرفين ، فرجال الامن يريبهم امر كل غريب لايحمل هوية او جواز سفر وكذلك يفعل الثائرون . لم يبق اذن ثمة مكان لي في هذه المدينة . ومع ذلك كانت الحياة ترجع الى الشوارع بين حين واخر .

واليوم استبد بي الجوع دون هوادة . ولم يكن ثمة امل بالقضاء عليه قريبا .

فلقد اعتدت في الايام الاخيرة ان انتقل بين نزلي وبين احياء « البسطة » بسهولة ويسر . وهناك اتناول طعام الغداء ، في بيوت الاصدقاء وخاصة منهم كنعان وسمير وفؤاد .

غير انه منذ الامس والمدينة القديمة محاصرة تقريبا . واصبح من المستحيل الانتقال من الشارع الذي اسكن فيه الى « البسطة » . كان ذلك الشارع يقوم على تخوم الحمراء . وقد اغلقت اكثر الدكاكين خوفا من غارات الثوار المفاجئة . وانقطع الخبز واللحم والخضروات . اذ لم يعد بامكان احد ان يشتري من الاسواق الرئيسية الواقعة في قلب

المدينة ، حول البرج ، حيث تحتدم المعارك هناك باستمرار .

واخذ الاجانب بالنزوح عن الفنادق ، والعودة الى بلادهم . او ان بعضهم كان يتجمع في فنادق « الحمراء » . ولكن مسالة الغذاء كانت هي المشكلة الاولى بالنسبة للاحياء الحديثة المعزولة . هذا فضلا عن الشعور بالخوف الذي كان يسود سكان هذه الاحياء . واكثرهم خليط من الاجانب والغرباء وبعض من قطعت جذورهم من اللبنانيين عن احيائهم او مدنهم الاصلية .

ولم يكن قد بقي في نزلي الا ثلاثة اشخاص . احدهم هو انا . والاخران سيدة ارمنية ، عجوز من حلب ، وطالب اردني . ولقد داب صاحب النزل على التفجع وابداء الخوف . وكان يحرص على اغلاق الباب بمزلاج ركبه حديثا . كما يطالبنا باغلاق النوافذ ليلا نهارا .وكان قد تمنطق بفدارة قديمة . ولكن ايشع ماكان يحاوله معنا ، هو مطالبتنا لنا بجلب اغذية ، بدلا من دفع الاجرة . وتلك هي اصعب الامورواشقها في هذه الايام .

كان الشباب من الاصدقاء كلما زرت حيهم يلحون علي بالبقاء في منطقتهم ولكنني كنت اتهرب من قبول دعوتهم . فلست على استعداد لان التزم شيئا بعد .

ولكن قبل ان تتازم الحوادث ، وتنطفيء المدينة في وجومها المطلق، قبل ذلك ، قضيت اسبوعا حافلا بين جهات المدينة الاربع كعادتي ،وبين انماط من الناس ، كان لابد منهم في مشكلتي الجديدة . او لم اكن احاول ان اعيد النظر . لست استطيع ان احدد الشوط الذي بلغته. فما زلت بحاجة الى لهاث وتوتر وارهاق . انني ممن لايستطيعون التفكير الا وهم في قلب المعركة . ومعركتي مازالت هي نفسها . انها بين البشر وتحت عيونهم ، ولصق وجداناتهم . انهم الآلهة الحقيقيون الذين يحتاجهم وثني متطهر مثلي .

*

لم تكن حنان قادرة على الوقوف لوحدها . تتمسك بذراعي ، تحتمي بي . واحس يدها طي كفي باردة مرتعدة . كان شيء من الخوف يختلط بقيء من التقزز يملأ عليها حنجرتها ، ويسد مجرى تنفسها . كانت مذعورة مهزومة ، وسط ذلك الاضطراب البشري الاسود . ولقد ظلت تشدني حتى الفيت نفسي اخيرا منكمشا معها في اقصى زاوية من الصالة الكبيرة الفنية .

كان ذلك مما يطلق عليه لدى الجيل البيروتي الحديث اسم«الحفلة الكاملة » . وقد اصرت « اليس » دائما على دعوتي الى مثيلاتها . وكنت لبيت دعوتها مرتين او ثلاثا ، انتهت واحدة منها الى انطراح اكثر الفتيات والشباب في غيبوبة صفراء من المخدر والارهاق والكآبة

كان الجميع يتبارون بالعنف والقفز والدوران مع حلقات من الحان الجاز ، تنفجر في عروقهم قبل ان ينتشر صداها في جو الصالة . ولقد يبلغ من عنف الرقص ان يفقد بعضهم صوابه . فتنطلق حركاته بصورة آلية وهو مغمض العينين . ويرتمي هو وصديقته اخيرا على اقرب مساحة من الارض ، هناك يستلقيان واحدهما الى جانب الاخر في غيبوبة مجنونة .

واما اليس فقد حاولت ان تحتفظ بوعيها اطول وقت ممكن لتبقى قريبة منا . ولكنها لم تستطع ان تمنع شابا من الاطاحة بها الى الحلبة مرات متوالية ، كما لم تستطع حنان بعد ذلك مقاومة شاب اخر ، جذبها من يدها ، وراح يدور بها بين ازواج الراقصين . ولم تدرك ماذا يحدث لها ، الا عندما وجدت نفسها تنداح في دوامة من الحركة الصاخبة الوحشية . انها تتمسك الان برفيقها . اخذ يهتصرها من خصرها ، بينما انفرط عقد كان يجمع شعرها وراء كتفيها . وتهدلت تلك الخصلة الناعمة على الجبين ، لقد فقدت غرتها رشاقتها الروحية ، فامتدت لتغمر نصف الوجه بافاعيها النحيلة السوداء . انها تناضل من اجل نقطة ارتكاز تستند اليها بجسدها المضطرب ، فلا تلقى سوى ذراع رفيقها ، تلك التي لاتتقبلها لحظة حتى تطيح بها في حركة متفجرة اخرى . يستمر الانديام، جو الصالة يشحن بالصدى الوسخ وروائح الاجساد التي تنتحر هناك .

والمصابيح تتابع انطفاءها التدريجي . ثمة بعض الازواج ينسحبون من الحلقة . هناك ابواب وراءها ظلمة داكنة تنفتح على الصالة . يغيب وراءها هؤلاء . وتخفت الحركة العنيفة في الجاز . تتحول الالحان الى امتدادات جنائزية . الراقصون يشتد التصاقهم . يتمايلون بحركة معذبة بطيئة . حنان ، لا اكاد المحها مرة ، حتى تختفي بين الجمع ، اصبحت الالحان الان لاتطاق . انها تلو طويل مرعب .

زحفت الي اليس من جهتها . رايتها تسند ظهرها الى الكرسي العالي امامي . وجهها جد شاحب . تلهث ببطء الموت . عيناها تقعان علي ولا تريانني :

ـ كريم .. اين صديقتك . ربما نسيتك الان .. انها رائعة . سوف تصبح عضوة في الفريق بسرعة ، اما انت .. فلا احد يقدر عليك.

وسحبت نفسا كثيفا من دخينتها . رفعت ذراعها البضة النضرة ، وضعتها على كتفي . قربت وجهها مني :

ـ انت تعبة جدا يا اليس ، متى تنتهون ؟

تقهقه بضعف مؤثر :

ـ لست واعظا اليس كذلك .. انا اعلم انك لاتتعفف ، وانك تشعر معنا لماذا نحن هكذا .. هناك شيء لا نستطيع ان نحياه بسهولة انه يضطرنا الى هذا .

ـ كم مرة زرفت نفسك هذه الليلة ؟

ـ اوه مرة واحدة ، الا تراها كافية . لا تخرج نفسك عنا هكذا بعيدا . انك من العرق وهذا الجنون ، انك من هذه الجماعة التعيسة، وان كنت لاترقص ، لا تتعاطى الزرقات . انت ضائع .. ضائع ، مثلنا تماما . ولكنك لاتفقد راسك حتى في هذا الضباع .. اليس كذلك ؟

واندفعت الينا في تلك اللحظة فتاة هائجة ، ترتع غضبا ونشوة .. عرفتها فقد كانت هي مارغو ابنة « ابو حبيب » . تلك التي كانت تعد لنفسها مخططا خاصا جريئا ، يبعدها عن هموم البيت .. بيت الوالد ، ذلك الطبب الفاشل .

صرخت دون ان تتبين وجهي :

هيا .. لماذا انت هنا ، لا نريد ان يتلصص علينا احد ، اما أن ترقص او ان تمضي بعيدا ..

ورايت نفسي اقول لها منبها :

ـ مارغو .. سوف يغمى عليك بعد لحظات .

وتماسكت كمن اصيب بلسعة :

ـ كيف تعرفني ، من قال لك اسمي ، لا احب ان يدعوني احد بمارغو ، انا مارغريت ، هل سمعت .. مارغريت !

وحملقت بوجهي قليلا .. ثم تصنعت جدية امراة ناضجة :

ـ اوه ، ما اقبحكم ايها الرجال . انت ذلك الرجل الصامت الذي زارنا مع ميشيل واندريه .. سترى ، سترى بعد قليل ميشيل . آن له ان يصل الينا من جولته .. هناك الكثير منا ، ينتظرونه من اجل الزرقات .

حاولت اليس ان تمنعها من افشاء هذا السر . ولكن مارغو تابعت متحدية :

ـ ميشيل يعلم اننا سنحتاجه بعد منتصف الليل . كم الساعة الان، سوف تقولين لي يا اليس كم الساعة الان ، اليس كذلك .. .ليس هذا سرا .. نحن هنا كيما نفشع جميع الاسرار ، فلم هذا التكتم . هل تعتقدين ان ميشيل سوف ينسانا هذه الليلة ، لانه ربما وجد زبائن اكثر في حفلة فريق اخر . نحن الفريق الاول في بيروت . اننا نعب في عروقنا عشرات الزرقات . اننا ندفع كثيرا . اليس كذلك يا اليس . كريم اسال اليس . انها سوف تدفع عنا جميعا هذه الليلة . انت تعلم ، انها اغنى واحدة بيننا .

ورايت جسدا يتلوى على الارض كمن يشكو من الم فاجع . حاولت ان اتحرك نحوه . قالت اليس ببرود توقفني :

ـ دعه .. لا شيء فيه ، لا شيء يمكن معالجته .. كلنا مثله .

ولكن الشاب ظل يزحف نحونا .. لقد تعلق اخيرا برجل مارغو ،

راح يضم ساقها الى صدره وكان يقبلها ويتحسس بشفتيه اديمها ، بنوع من الوله المريض . ثم توقف ، وكانه تنبه الى غلط ما .. فزحف نحو ساق اليس وضمها ، وتابع ذلك التقبيل والتحسس الغريب .

هزت مارغو كتفها باستخفاف :

ـ انه يرجوك يا اليس ان تقدمي له زرقة جديدة . الم اقل لك ، لقد تاخر ميشيل . اين ميشيل هذا .. ياله من بخيل نتن .

واسكتتها اليس :

ـ اصمتي ، لولاه لزحفنا مثل هذا على بطوننا فوق الارصفة ..

ونظرت مارغو نحوه باسف :

ـ انه مجرد طفل ، لم يتم السادسة عشرة من عمره . ولكنه سرعان ماتقن كل شيء واصبح عضوا رئيسيا في الفريق .

وقالت اليس بنفاد صبر :

ـ كما اصبحت انت كذلك . ما عمرك الان يا مارغو ، السابعة عشرة .. اكثر .. لقد اصبحت حكيمة جدا بسرعة !

وطاطات راسها ، وقالت بخنوع ذليل :

ـ ابو حبيب يعرف انني كبرت قبل الاوان . تعلمت حياة الدنيا قبل الخامسة عشرة .

وسالتها اليس :

ـ ومن هو ابو حبيب هذا ؟

جمدت عيناها في وجه اليس . ولم تنبس شيئا ، وكذلك لم اقل انا انه ابوها .. وانه كان حول نصف بيته الى حانة ، لانه يحب الانبساط مع الاصدقاء . وانه لكي يزيد من سرور الاصدقاء ، كان يجعل بناته يقمن على خدمة هؤلاء .. الاصدقاء . لم اقل انه ابوها . وانه كان رجلا حزينا ، ولكنه يملأ الحي صخبا . وانه كان مرة يعرف ان الفرنسيين هم إعداء وليسوا ممدنين . ولكن الجميع كانوا يؤمنون بالعكس . ولذلك اصبح ابو حبيب اخيرا صاحب نصف بيت ونصف حانة .

وبحثت عن حنان . كانت العتمة تقريبا قد سادت هؤلاء الاشباح. فطمست معالمهم الخارجية تماما . كما طمست الاشياء الاخرى معالمهم الداخلية .

انسحبت من الحلقة . لم يهتم لذلك احد . رحت اجول بين بقايا الراقصين . وارى الى ازواج كثيرة منطرحة على الارض هنا وهناك. والبعض على الدواوين ، والبعض على الاسرة في الغرف الاخرى ذات الاجواف المظلمة ، المنفتحة على الصالة . كانت التاوهات والحشرجات والهمسات الزاحفة تتلوى من تلك الزوايا الصغيرة الدافئة بين كل صدرين . كان اكثرهم قد صرعته اخيرا حركاته العنيفة ، واستلقى اسير التعب والخدر . كان الشباب يتحولون الى مجرد اشباح طويلة ممدودة بين اشياء الصالة ، وفوق اسرة الغرف وفي الزوايا الهاجعة .

سمعت نشيجا بطيئا يتصاعد من ركن ما . كانت هي حنان قد جلست على الارض مسندة ظهرها الى الجدار . وراحت تغمر وجهها بكفيها :

ـ اتعبوك هنا ؟

ـ لا .. انني ادرك الان مدى شقائنا .

ومسحت بعض خيوط من الدمع . رفعت وجها الي مغسولة نشوته، مطهر عرقه بالدموع الاخيرة .

ـ لماذا يفعلون ذلك ، بل لماذا نفعل ذلك كلنا . اواه ياكريم ، لقد اكتشفت انا انني واحدة منهم ..

وارخت يدها بياس فاجع . زحفت كفها على ارض البلاط البارد :

ـ كان يمكنني ان ارقص واقفز واشهق واشرب وافعل كل شيء ، كل ما يفعلونه . انا اكتشفت انني لااختلف عنهم ابدا . كلنا سواء لولا انني اعرف ان هناك طريقا اخر .

وتدخل راس اليس بيننا :

ـ وما هو هذا الطريق بربك يا مدموازيل . اخبريني عنه . هل تعرفين امرا نحن لا نعرفه بعد . قولي لماذا تفخرين علينا بمثل هذا الشيء . سر ، اليس كذلك ، سرك انت وحدك من دون الجميع ، سرك سوف ينقذك وحدك .

وبهتت حنان ثانية . لم تكن مستعدة لكل هذا العنف ينصب عليها دفعة واحدة في ليلة واحدة :

ـ لا تسخري مني ارجوك ، انا لاافخر ، اواه يا الهي ، ماذا لو فشلنا هناك ايضا .

والقت اليس كلمتها المكتومة حتى الان :

ـ انت انانية يا هذه . نحن لا نعرفك هنا ، ومع ذلك فقد اطلعناك على ماساتنا كلها . جعلناك تمرحين بهذا البؤس معنا . ولكن ماذا كانت النتيجة . انك تتشبثين بانقاذ خاص .

وكانت مارغو قد وصلت منذ هنيهة واستمعت الى كلام اليس الاخير . وكانها ادركت الموضوع بحدس سريع انه ليس بالموضوع الجديد لقد كان هو وجودهم جميعا .. قالت بعصبية منهكة :

ـ دعيها يا اليس .. نحن لا نبحث عن انقاذ .. من قال لها ذلك ، انها فتاة ما زالت مستعبدة. الامل هو سيدها.. انها تدعي ولا شك انها تخفي لديها ثمة املا .. يا لهذا الكذب . هي لن تكون منا ابدا . مازالت تشحن وراءها اكاذيب العالم كله .

وجلست قبالتها بطريقة صاخبة :

ـ اتعلمين يا مدموازيل مهما كنت انت ، فنحن لا نريدك هنا ، لا نريدك معنا ابدا .. انك تذكرينني بابي .

وحنان مازالت مسحوقة تحت ثقل مفاجاة لا حدود لحجمها . انها لا تقوى على منافسة هاتين الفتاتين في ميدان ذلك الالم الموحش . وهي لا تدري بعد ، ماذا ينخر في عظم هذين الهيكلين من البشر . نظرت الي ، تود ان افعل شيئا . ولكنني كنت في تلك اللحظة ، اسير تلك الحالة من الكآبة الصماء التي تغبني الى اعماقها الرملية الجافة . قالت متجلدة:

ـ حسنا يا صديقتي . ارجو ان تغفري لي تطفلي عليكم هذه الليلة . ولكنني اتمنى حقا ان تحسوا انني كدت الا اصبح غريبة

روائع العلم والثقافة

لأول مرة في اللغة العربية نضع بين يدي القارئ العربي الترجمة الدقيقة لاروع المغامرات والجولات العالمية في دنيا العلم والثقافة وذلك بحجم جديد وسعر زهيد واخراج فاخر

صدر من المجموعة

١ ـ في اغوار المحيط ٢ ـ الانسان رائد الفضاء
٣ ـ العالم المتجمد ٤ ـ نسور الجو

ثمن العدد الواحد ١٠٠ قرشا لبنانيا

منشورات المكتبة الاهلية ـ بيروت

عنكم هكذا . لعل هذا ما ينتظرنا جميعا في نهاية كل طريق . لكن هذه النهاية سوف تبقى بعيدة ، بعيدة عني الى الابد .. استاذ كريم .. هل نمضي .. ارجو الا اكون قد اسأت اليكم .. ومع هذا فبودي ان القاكم مرة ثانية ، لدي ما ساحدثكم به .

وقالت أليس بجمود :

ـ لن نقبل وعاظا اخرين ، كفانا وعظ كريم .

وقهقهت قليلا ثم تابعت :

ـ ولكن لماذا انت واثقة من اننا تعساء يا صديقتي الى هذه الدرجة. اننا نمرح ، نمرح بكل اساليب المرح . لنا حياة واحدة لن نضيعهـــا بالاكاذيب . الاحرى بك ان تحسدينا لا ان ترثي لنا ..

وبينما كنا نهم بالمسير قالت حنان :

ـ لست ادري حقا من منا موضع الحسد او الرثاء .

وحين وصلنا الى الباب الخارجي ، كان هناك ميشيل وشابان اخران وراءه ، احدهما يحمل علبة متوسطة . وعندئذ تكسر ثقل الصمت الكئيب في نفسي وفاجاني لساني :

ـ اهذا انت يا ميشيل .. انهم يفتقدونك في الداخل . كم سوف تقبض هذه الليلة ثمنا لمرحهم .

ولم أر وجهه ، لم انتظر جوابه . فلقد هرولنا نهبط الدرج حتى استقبلنا شارع قبيل الفجر .

في الطريق ، في سيارة الاجرة التي تنقلنا الى بيوتنا طال الهدوء بيننا . وفي راس الشارع قبل ان نصل الى بيتها قالت شيئا :

ـ هل تعتقد استاذ كريم انهم يمرحون فعلا ، يصدقون انهم يمرحون .. ما هذه الهاوية !.

ـ كلنا معرض للسقوط فيها ، اننا مضطرون ان نمشي على الحافة دائما .. ليس انتصارا ان نبقى هناك الى الابد .

ـ اتؤنبني انت ايضا يااستاذ كريم . كلنا لنا تعاليلنا اليـــس كذلك .

ـ نعم وكلنا له طريقته الخاصة في ان يهرب من الاعتراف .

ـ الاعتراف باي شيء ؟ .

ـ اوه ، لا شيء ... انسي هذه الليلة .

ـ كيف ، اتحسبني تافهة الى هذا الحد .

ـ كلا ، ليست المسالة تتعلق بالتفاهة او عدمها .. علينا ان نواجه ..هذه هي المسالة حقا. ستسالينني ايضا ماذا نواجه ؟

ـ لا لن اسالك . هناك اشياء لا يمكن تحديدها مهما شعرنا بوطأتها فوق صدورنا .

وقلت بصورة آلية :

ـ علينا ان نعيد النظر .

ـ عفوا ، ساسالك ثانية : نعيد النظر باي شيء. انا لم افعل شيئا بعد .

ـ اوه لا ضرورة لذلك . لقد فعلوا هم كل شيء بنا . وعلينا ان نكتشف ذلك في اللحظة الحاسمة . علينا ان ندرك اننا على الحافة ، وان الهاوية لنا بالمرصاد دائما .

ولكنها صممت ان تعيد انقاذها علي للمرة الاخيرة . انها تريد ان تؤكده .. لمن ؟.. ليس هناك الا نفسها التي بدات تحس الرعب ، تدرك الخطر :

ـ لولا الطريق الاخر لكان لنا مصير واحد .

ـ حقا .. تصبحين على خير ..

ـ متى ساراك ؟.

ـ عندما تنتهين من الريبورتاج سا ...

ـ لن اكتبه ؟.

قالت هذا من ورائي البعيد .. اذ كنت اصعد الشارع ثانية لوحدي مترجلا ، شارع قبيل الفجر .

دمشق

مطاع صفدي

صدر حديثا :

أنا وسارتر والحياة ...

بقلم الكاتبة الوجودية الشهيرة

سيمون دو بوفوار

ترجمة عايدة مطرجي ادريس

في هذا الكتاب الرائع تروي لنا الكاتبة الوجودية الكبيرة سيمون دوبوفوار قصتها مع الرجـل الذي كان شريـك حياتها ، مـن غير ان يكون زوجها ، جانبول سارتر . وهي مـن خلال ذلك تقص تلك المغامرة التـي ادت الى انتصارها : كيف اصبحت كاتبة الى جانبه ، وكيف كانا وما يزالان يواجهان الحياة .

انها قصة عجيبة ، هذه التي تسردها هنا سيمون دوبوفوار لانها قصة عاطفة فذة قلما ربطت كائنين فوق هذه الارض بمثل هـذا الرباط : رباط الحب الواعي الـذي يوثقه تفاهم روحـي وفكري ليس لـه فـي عمقه وصميميته مثيل . فبالرغم من ان سارتر يحب هنا ، كائنات اخرى ، من مثل « كميل » و« اولغا » فان **ما يشده الى سيمون دوبـوفوار اعمـق مـن ان تؤثر فيه اية علاقة خارجية** وان ما يشدها اليه اوثـق من ان توهنه الغيرة .. صحيح انها تغار ، وتعبر عـن ذلك في صفحات رائعة، ولكن السعادة التي خلقها لقاؤها بسارتر منذ اللحظة الاولى ستظل ترفرف على حياتها مادامت على قيد الحياة . وهي واثقة كل الثقة من انهـا « لن يأتيها اية مصيبة من سارتر الا اذا مات قبلها .. » قصة رائعة ، عميقة ، مرهفة ، نابضة بالحياة ..

الثمن ٤ ليرات لبنانية او ما يعادلها

منشورات دار الاداب